



حامد الكيلاني  
كاتب عراقي



لما الموصل في دوامة كحال العراق عموماً منذ الاحتلال الأميركي في أبريل 2003. المدينة عانت في البدء من تصرفات حمقاء لبعض منتسبي القوات الأمنية بحق مواطنيها، وتعرضت لسلسلة من الهجمات الإرهابية الإجرامية تم تدريب عناصرها في معسكرات النظام السوري، وصارت المدينة وسيطاً لرسائل ذنبية متبادلة دفع ثمنها أهل الموصل من دمهم واستقرارهم، وصولاً إلى مرحلة احتلال عصابات داعش لها بعد انسحاب عصابات نوري المالكي منها تاركة خزير الأسلحة في أكبر صفقة تسويق للإرهاب لم تحدث في التاريخ على الإطلاق، ومعها مصير مجهول لسكانها.

أميركا رغم النصريحت ودرت فعلها وتعجبتها، فإنها كانت في المحصلة، إما ممثلة رديئة لا تجيد دورها وإما أنها انتابها نوبة إحساس بالخزي والفشل لأن من نصبتهم حكاما لبلاد وادي الرافدين ليسوا إلا مجموعة ملالي وإن كان بعضهم من خريجي الجامعات الأميركية أو البريطانية، فهم من تجربتهم الطويلة ينفادون في نهاية مطافهم إلى مرجع طاغفي، يقرر نيابة عن تحصيلهم العلمي ومعارفهم السياسية والاجتماعية. إذا أميركا لا تدري حجم الكارثة التي تورطت فيها باختيار هذه النماذج لقيادة عملياتها السياسية، فذلك يعني سذاجة مطلقة لا تناسب دولة عظمى؛ لكن إذا أميركا، ويبدو التحليل أقرب إلى الواقع، سلمت العراق بكامل وعيها وإدراكها لما ستؤول إليه الأمور على أيدي عملائها وزبانية الفقه الإيراني الطائفي في منطقة الشرق الأوسط، فإنها صنعت مثلاً يحتذى به في وسائل الاستعمار لتدمير الأوطان ومن دون أن توجه لها الاتهامات والانتقادات لتحميلها المسؤولية المباشرة لما يجري من جرائم إبادة وإرهاب وتراجع مهين في إدارة الحكم والموارد والخدمات والأمن. هل هناك أفضل من الأحزاب والمليشيات الطائفية لقيادة هذه المهمة التي قدم لها وزير الخارجية الأميركي الأسبق جيمس بيكر في تهديده لإعادة العراق إلى عصر ما قبل الثورة الصناعية؟

ماذا يعني العراق لحكامه بعد الاحتلال الأميركي؟ والعراق ماذا يعني لحكامه بعد الاحتلال الإيراني؟ مصادر للطاقة ومصادر

«التحذيرات من إمكانية انهيار سد الموصل لا تخلو من المصلحة السياسية، لكن الحكومة مطالبة بكشف الحالة الحقيقية للسد لطمأنة المواطنين واتخاذ التدابير اللازمة».

فرات التميمي

رئيس لجنة الزراعة والمياه في مجلس النواب العراقي

## سد الموصل.. مطلوب حياً أو ميتاً

للمليشياوية المتعددة التي أصبح لها قانون يحمي انتهاكاتها وجرائمها وفيها إيران أولاً. الموصل لا تنق بالحشد الطائفي، ولا بحكومة حزب الدعوة التي سلمت الموصل لداعش، وهي طبعاً تحت مقصلة داعش، وثقتها شبه معدومة بالتحالف لأنه لم يكن جادا في محاربة الإرهاب واكتفى بالغازات الجوية المصحوبة بالأخطاء وسقوط الضحايا من الأبرياء. الجيش النظامي مخترق بالفصائل الطائفية وشعاراتها، رغم مهنية بعض وحداته في أداء واجباتها العسكرية.

سد الموصل بواقعه الهندسي يقع ضمن تجاذبات معركة الموصل، سياسياً وعسكرياً وطائفيًا، سبق لتنظيم الدولة الإسلامية احتلال السد والتعرف على منشأته، ثم سيطرت عليه القوات الكردية وهو يقع ضمن محور حركة توجهات الحشد الطائفي وتحت مرمى المدفعية لكل الأطراف ومنها داعش، أي أننا أمام واقع يعتبر سد الموصل جزءاً من ميدان المعركة وهذا لبعضها، قد يكون هدفاً مؤجلاً أو وصية لعمل انتحاري في لحظة هزيمة سافرة.

الرسائل لا يمكن إهمالها في عالم السياسة، وفي ذهني وصفات إعلامية أطلقت كبلونات صغيرة ثم تبلورت إلى قرارات وصراعات وحتى حروب، وألقت بنتائجها على مساحات زمنية ومكانية مفتوحة. وليس بعيد الرسائل المغلفة بدهاء الساسة الأميركيين عندما سمح الرئيس الأميركي باراك أوباما لنفسه بأن يكون اللاعب الأساس في الإعداد للضربة الكيميائية في الغوطة الدمشقية في أغسطس 2013 والتي ذهب ضحيتها أكثر من 1500 مواطن سوري، وذلك بإطلاقه التحذيرات من مغبة تجاوز الخط الأحمر واستخدام السلاح الكيميائي، وتكراره المستمر للتحذير، الذي أراه الآن يقع ضمن الرسائل الخطيرة التي تعبئ السلاح وتطلقه بيد الآخرين دون أن تقع في دائرة الحساب أو الاتهام أو حتى الشك.

رسائل السد وإن كانت حقيقية ومبنية على حسابات مختبرية، إلا أنها في جانب آخر منها سلاح رعب بيد الإرهاب الداعشي، سلاح جاهز لا يتورع التنظيم عن تجربته بعد تجارب لإنتاج ذخائر كيميائية في معامل بدائية استهدفت بالموصل في العديد من المرات، وهي أيضاً كإبادة بشرية حتماً

للمطائفية، هكذا تتسوق المشاريع، تفترق في الإعلام والسياسة العامة، وتلتقي في استباحة العراق بالموث والدم والياس وتعميق الفصل العنصري بين مكونات الشعب والوطن.

برودة دم السياسيين العراقيين، وما يفتحون به أفواههم، خاصة وهم في إيران، تقدم لنا صورة مقربة لتجاعيد وجه الحكم في العراق من زاوية منطقة خضراء، صار عنوانها رمزا للخيانة والعمالة وانحطاط الفكر والوجدان السياسي، ليس في العراق فحسب، لكن لأي حزب أو جهة في العالم تتصدى لتشكيل نواة تغيير في مجتمعاتها وبلدانها. وهي سابقة غير مسبوقة في الحد والكراهية والتصميم على اللامبالاة والتعمد المبرمج على إقامة احتفاليات "العدل الميليشياوي" برعاية الولي الفقيه الإيراني الذي يتم الترويج له كولي فقيه أممي. الموصل وفي بداية يناير ومنذ سنوات تثير الفزع وهي تنتظر شهر أبريل، أي بداية الربيع، لارتفاع مناسيب نهر دجلة وروافده في العراق، بما يسبب ضغوظاً وأحمالاً إضافية على الركائز السياسية في سد الموصل وبواباته، وفي عامنا هذا هناك بوابة عاطلة ومخاطر متزايدة أشار إليها العديد من الخبراء العالميين ومنهم مهندسون مختصون عملوا في السد وتحدثوا عن انهيار وشيك في لحظة معينة، جزئياً أو كلياً، وفي كلتا الحالتين الكارثة تعني خسائر بشرية واقتصادية تتجاوز في تقديراتهم آثار الضربة النووية.

حذرنا على صفحات صحيفتنا في أكثر من مناسبة، من أن الوفاية وبعد الإنذار المبكر تتطلب جهوداً دولية لتدارك ما يمكن أن يحصل، ليس مجرد تخمينات جيولوجية معروفة لتربة المنطقة التي أنشئ عليها السد في العام 1983، بل لأن عمليات حفر الإسمنت لتدعيمه، وتتولاها شركة إيطالية بحماية إيطالية، تبين أنها غير كافية لتأمين سلامة السد وسلامته حتى العاملين.

الموصل تحت نيران معركتها ضد عصابة داعش؛ الموصل بمن تفتق؛ القرار السياسي العراقي مرتب، وظاهرياً، بالتحالف الدولي وغرفة العمليات المشتركة وفيها أميركا أولاً؛ أما في الباطن فيبدو أن شركة حيدر العبادي متعاقدة بالروح والدم مع الشركات

## 25 يناير.. ست سنوات في منحنى

على الحشد والتأثير العاطفي، باسم الدين وبدافع الوطنية. وقع الطرفان ذات ثورة تحت رحمة الشعب، لولا الكثير من البراعة التي استهانت بتواطؤ اليمين الديني مع حسني مبارك قبل خلعهم، ثم أنستنا السكره تناقضا في بيان التنحي، بين "تخلي" مبارك عن السلطة، ومنح نفسه سلطة "تكليف" الجيش بإدارة شؤون البلاد. هو تخلي فكيف تكون له صفة "التكليف"؟

لم نشغل أنفسنا بالتفرقة بين التخلي والتنحي، بين استقالة مبارك وعزله وخلعه. كل ما فكرنا فيه، لحظة السكره، أن بيانا قصيرا من 35 كلمة، بدأه عمر سليمان بالبسملة، وختمه بالتأكيد على توفيق الله، أنهى عصرنا، وطوى صفحة سوداء، برموزها وأولهم مبارك ونائبه سليمان الذي سيدخل التاريخ كأول نائب رئيس لا يفعل شيئا إلا إلقاء أهم 35 كلمة في تاريخ مصر.

فرحة الخلاص أسلمتنا إلى الرضا بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة، فاقتمس الحكم مع الإخوان والسلفيين، هو في القصر وهم الشارع. وأخلت الميادين، واكتفينا ببيانات نخطب بها أنفسنا. وبعد تجاوز منحنى الإخوان، تحديداً قبل خطوتين من نهايته حين أعلن الجيش في بيانه أول يوليو 2013 أن "هذا الشعب الكريم عانى، ولم يجد من يرفق به أو يحنو عليه"، أخلى الميدان أيضاً، حتى أن صديقا قال لي بتلقائية "لا تخش شيئا، الجيش تسلم البلاد". ولم يشهد تاريخ الثورات أن قادة عسكريين أكملوا مشوار ثورة قام بها غيرهم، فإما أن يخططوا وينفذوا ويحكموا من اليوم الأول، وإما أن يظلوا على الحياد. وإن كانت الحالة المصرية، في 2011 وفي غيرها، كسرت هذا النمط العسكري والثوري، فهي استثناء، ولا أدري هل هو استثناء يؤكد القاعدة أم ينسفها؟ فلم يعد لدي أي يقين.

الثورات الناجحة تجدد حيوية الأمم، ويكرهها عبدة الماضي المطمئنون إلى الركود، ويشهد التاريخ أن من يعادي الثورات هم القضاة ورجال الدين والعسكريون. يسجل عبدالعظيم حماد، رئيس تحرير الأهرام السابق في كتابه "الثورة الناجحة.. صراع الخوذة والحلحة والميدان"، أن أعضاء المجلس العسكري لم يتوقعوا تقديم مبارك للمحاكمة، وأن مطالبات ميدان التحرير بمحاكمته قوبلت ب"باندهاش ثم استياء كبير"، بل إن عضو المجلس اللواء مختار الملا قال له "فاتنا أن نعقد اتفاقاً مع مبارك

وقتلوا في المنفى. ولكن ما كان يحسب بالسنين في القرن العشرين لا ينتظره زمن تطوف فيه المعلومة أرجاء الأرض في ثوان، ويسهل فيه توثيق الأحداث والمواقف، تحسبا لدعاءات الذين لم يجروا ليلين في كتابه "مرض البسارية الطولي في الشيوعية" على وصفهم بالنفاق، ولكنه قال "ليس من الصعب أن يكون المرء ثوريا، عندما تكون الثورة قد اندلعت واستعر أوارها، عندما يلتحق بالثورة كل أحد، إما اندفاعا وراء الأحاسيس، وإما اقتفاء للموضة، وإما حتى أحيانا من أجل مصالح وصولية خاصة".

لا يعود التاريخ ولا الثورات إلى الوراء، وإن شهدت بعض المراحل موجات ارتدادية عنيفة لقوى الثورة المضادة، تقترب من العنف الذي بدأت به الموجة الثورية الأولى. وتتلكا الثورات الآن في منحنيات أسنة، اختلط فيها الماء الراكد بالدم، اختلطا ولم يمتزجا. وقد طال زمن هذا المنحنى، وبعد ست سنوات تراوح الثورة مكانها، وقد أعيد تركيب المشهد الاقتصادي والبوليسي الذي ثار عليه الشعب وطمح إلى تغييره في 25 يناير. والأكثر خطورة أن تصير "الثورة" كمصطلح وفعل تغيير حالم مجرد ذكرى سيئة السمعة، ويلاحق الداعون إليها، ليس من السلطة المعادية للثورة والحرية، وإنما من الجماهير المستهدفة بالتضحية. والأغرب أن تعجز الثورة حتى عن منح الشعب مناعة ضد أمراض الاستبداد، وتتبدد روح يناير، ويعود الخوف مكتسبا حصانة شعبية، ويكون الخيار بين نوعين من الاستبداد فيلوذ الخائفون بأهون الشرين.

قول "لو" لا يفيد، فللتاريخ اتجاه واحد، ولكن العاقل من لا يقع في الخطأ نفسه مرتين، وفي مصر كررنا الخطأ ثلاث مرات تقريبا، بإخلاء الشارع لمن لديهم القدرة

لا يعود التاريخ ولا الثورات إلى الوراء، وإن شهدت بعض المراحل موجات ارتدادية عنيفة لقوى الثورة المضادة، تقترب من العنف الذي بدأت به الموجة الثورية الأولى

الذين كانوا صبية قبل ست سنوات صاروا شبانا، لهم صوت انتخابي، وسوط يجلدون به آباء اصطحبوهم ذات ثورة، فانخرطوا مع جموع الحالمين في الطريق الذين لا يبردون في الحكم على الثورة بالفشل، ولا يقنعوا الإصلاح، ولا يعترف بالمواقمات، ويرفض مقايضة الأمن بالحرية. ربما لم يقرأ تاريخ الثورات، ولكنه بالوعى والفترة الإنسانية يرى الثورة نزعاً للحكم من طبقة إلى أخرى، وبداية تغيير جذري يطلق الحريات، ويحقق عدالة توزيع الثروة والمناصب القيادية، ويضمن سيادة القانون. فهل حققت 25 يناير 2011 شيئا من هذا الطموح؟

أقول 25 يناير؛ لأنها شأن مصري، والمصري عربي بالضرورة. منذ بدأ البث التلفزيوني عام 1960 وبرامجه مسبوقة بهذه اللوحة "التلفزيون العربي يقدم...". وينتسب إلى قول المديعة "والآن مع المسلسل العربي"، أو "مع الفيلم العربي"، وتنتشر برامج التلفزيون في الصحف فقراؤها "الساعة 8: مسلسل عربي"، "السهرة: الفيلم العربي إسماعيل ياسين في..."، ولم يكن المسلسل الدرامي والفيلم إلا مصريين. وكما لم يعد منزل سعد زغلول بيته، وإنما "بيت الأمة"، فإن ما هو مصري لا يكون إلا عربيا، يتاح للتناول والانتقاد بقسوة، حتى للكناظمين الثورة في بلادهم. أما مجرد إشارتنا إلى احتجاجات وثورات عربية مغدورة، فيثير حساسيات وهياجا لا يوجه إلى الدكتاتور المقيم على صدور الشعب فوق عرش من الجماح. وكان ست سنوات من الفشل، أدت إلى زيادة تمكين الاستبداد، لا تدعو المنظرين إلى مراجعة المواقف، والتقاط الأنفاس، وترتيب البيت الثوري، وتقييم مستقبل العلاقة بمن يكرهون الثورات ويكفرون بمفهوم الوطن، وهم شركاء فراقاً يعد كل منهم باستبداد مضاد، ديني غالبا، مساو للاستبداد الطائفي العسكري ويزيد عليه النطق باسم الله، فيعطي شرعية للاستبداد الأول.

في كتابه "دراسات تحليلية للثورات" ينسب كرين برينتون إلى من يصفهم بأورخين المحترفين قولهم إن قرب العهد بالثورة الروسية (1917)، يجعلها "غير صالحة للتناول بالروح التي يحيونها، فمصادر مادتها مبعثرة"، على الرغم من تغيير الثورة البلشفية لوجه البلاد، أيا كانت مصائر الذين خططوا ونفذوا، ثم طوروا وطردوا



«شعارات الثورة «عيش، حرية، عدالة اجتماعية»، حددت خارطة طريق لتصل إلى مجتمع نطم بالعيش فيه، ولكن في ظل الوضع الحالي لا توجد حرية ولا نشعر بكرامة إنسانية».

مصطفى كامل السيد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة

نحن أمام واقع يعتبر سد الموصل جزءاً من ميدان المعركة وهدفاً لبعضها، قد يكون هدفاً مؤجلاً أو وصية لعمل انتحاري في لحظة هزيمة سافرة

يسهل لها لعب المشروع الإيراني لأنها إبادة مقنعة تنمهي مع أسلوب الغاز والانتقام الطائفي والتشفي ودون مساعلة، ولا بأس من التضحية بأعداد من مقلديها، وهم غالباً عراقيون، لتبقي إيران ومدنها -كما قال خامنئي- بعيدة عن آثار الحرب.

التحالف الدولي أو الجيش النظامي الأخطاء عندهما واردة، أو ربما الضربات مجهولة كما جرى مع تحقيقات استهداف قافلة الإغاثة التابعة للأمم المتحدة من طيران حربي وهي باتجاه مدينة حلب، تبرأ من فعلتها الجميع في زمن الرصد الفضائي والإشراف الدولي؛ التوقيت وتأخير إنجاز مهمة تحرير الموصل، إذا ما تأجلا للربيع، ربما تأتي الكارثة وفق توقيتاتها الطبيعية، لكنها تؤدي الغرض المطلوب في قائمة أهداف القوى المتصارعة.

وسط هذا القلق المشروع يبدو العبادي وحكومته بلا ملامح كالعادة، فالأمر لا يعنيههم ربما لأن الأعداء موجودة وأهمها أن سد الموصل هو بعض من مشاريع العهد العراقي البائد. الكارثة إن وقعت لا تنفع معها كل دموع وأحزان الأرض، لذا من واجب المنظمات الدولية والإنسانية والحمميات الجيولوجية والاتحادات المعنية التدخل لمنع انهيار السد، والضغط لإنهاء تحرير الموصل بوسائل أكثر تقنية مع إرادة فاعلة، لتمكين الناس من النجاة من الإرهاب ومن احتمال انهيار السد وتأمين أماكن لهم؛ وهذا نداء لكل منظمات المجتمع المدني والناشطين في العراق لإيصال صوتهم الرافض لهذه اللامبالاة بالضغط على النظام السياسي في العراق على طريقة نوبة غضب بمناسبة رسائل الاستغاثة.

على عدم الملاحقة القضائية، ونعلنه للمتظاهرين ليلة 11 فبراير".

هل فاتهم شيء؟ ربما أجاب القاضي محمود الرشيدى، حين برآ مبارك ورجاله في نوفمبر 2014، قائلاً "عودوا إلى مقاعدكم".

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977 أسسها أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير علي قاسم مختار الدبابي كرم نعمة

تصدر عن Al Arab Publishing House المكتب الرئيسي (لندن) Kensington Centre 66 Hammersmith Road London W14 8UD, UK Tel: (+44) 20 7602 3999 Fax: (+44) 20 7602 8778

الإعلان Advertising Department Tel: +44 20 8742 9262 ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk editor@alarab.co.uk

سعد القرش روائي مصري



الثورات الناجحة تجدد حيوية الأمم ويكرهها عبدة الماضي المطمئنون إلى الركود، ويشهد التاريخ أن من يعادي الثورات هم القضاة ورجال الدين والعسكريون